

مُقَدِّمَةٌ

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾

(العلق: ١-٥)

يأتي كتابي هذا في جزأين :

الجزء الأول يبين الإعجاز العلمي بالقرآن الكريم. هذا الوجه العلمي من الإعجاز الإلهي الذي حاولت أن أبينه على وجه سليم ، لأنه قائم على آخر ما توصل إليه علمنا الطبيعي الحديث (علم التجارب المختبرية والمشاهدة والاستنتاج ، وليس علم النظريات العقلية القابلة للصواب والخطأ). هذا العلم قابل للزيادة والتقدم بخطي سريعة مع مرور الزمن ، ومواصلة الاكتشافات والبحوث المختبرية بصفة مستمرة إن شاء الله .

إن الإنسان يولد من بطن أمه طفلاً جاهلاً لا يعرف من العلم شيئاً :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾

(النحل : ٧٨)

ثم مع مضي سنوات عمره وتعليمه يصبح عالماً. ولكن علمه يظل قليلاً وقاصراً عما أنزله الله، سبحانه، بالقرآن الكريم. والدليل على ذلك، أن ما من معلومة جديدة يصل الإنسان إلي إكتشافها، إلا ويتضح أن القرآن قد سبق وأشار إليها بالقول الصريح الفاصل... ! أليس هذا هو قمة الإعجاز العلمي الإلهي :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾

(الذاريات: ٢٠، ٢١)

﴿ سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ﴾

(فصلت : ٥٣)

إن العلماء (وخاصة علماء الطبيعة) أحق الناس بخشية الله، لأنهم توصلوا (ليس بعقولهم فقط، بل وأيضا بأبصارهم وأسماعهم عن طريق أجهزتهم وأبحاثهم) إلي القليل من أسرار تواجد السماوات وأجرامها، وكذلك مخلوقات الله المتباينة (مرئية أو غير مرئية بالعين المجردة) التي خلقت من أصل واحد هو ماء وتراب (السديم) : كالجماد والنبات والحيوان والحشرات والإنسان والجراثيم والميكروبات علي اختلاف أشكالها وأحجامها وألوانها. لذلك لا يتدبر هذا الصنع العجيب (ونشأته من أصل واحد) فيخشي خالقه، بل ويشكره علي نعمه علي بني آدم، إلا العالم ...

(فاطر : ٢٨) (الإسراء : ١٠٧) (الحج : ٥٤) (العنكبوت : ٤٩) (سباء : ٦) منها :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَّابِّ ۖ وَأَلَّا تَعْلَمَ ۖ مُخْتَلَفٌ أَلْوَنُهُ ۚ كَذَٰلِكَ ۖ إِنَّمَا تُحْشَىٰ ۚ ۝ إِنَّ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ لَعَلَّامٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ ﴾

(فاطر : ٢٨)

﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۖ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ ﴾

(الإسراء : ١٠٧)

إن الله في كتابه المجيد (القرآن) يحث، بل قل يحض، المسلمين علي مدي العصور والأزمنة، بقراءة القرآن وتدبر آياته الثابتة المعني. وكذلك بالتفكير والإجتهاد لكي يصلوا إلي، أو علي الأقل يستظهروا، معانيه المقصودة. وحتى يتعرفوا، إن أمكن، علي ما فيه من إعجاز ومعجزات، سواء كانت ترتكن علي المعرفة البشرية العلمية (من تعليم علي مختلف المستويات، ودراسات عليا

وأبحاث) أو علي عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه، أو ما يُعَلِّمُهُ مِنَ
البشر المؤمنين والأنبياء والملائكة:

﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾ ﴿٨٥﴾

(الإسراء : ٨٥)

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَلِكَ كَانُوا
يُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿٨٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى
يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٧﴾

(الروم : ٥٥، ٥٦)

إذا فالإجتهاد في فهم آيات القرآن الكريم نصيحة إلهية علي كل مسلم إلسي
يوم القيامة، بشرط أن يكون صاحب عقل صحيح وسليم، وبصر حاد وبالتالي
بعيد النظر، وبصيرة مستنيرة ونفاذة عمادها الثقافة العلمية العالية .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا ﴾ ﴿٨٨﴾

(النساء : ٨٢)

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٨٩﴾

(ص : ٢٩)

وكما قال رسول الله، عن أبي هريرة عن عمرو بن العاص :

[إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ كان له أجر]
صدق رسول الله

البخارى ومسلم

لهذا السبب أضفنا ملحقاً إلى هذا الكتاب (الفصل الثالث) عن : إجتهدات من القرآن الكريم .

هذا ولقد حاولت تبسيط المعلومات والمصطلحات العلمية المتخصصة التي وردت بالكتاب تبسيطاً مناسباً، وبدون خلل، للقارئ العادي غير المتخصص لكي يفهمها ويتابع ما جاء بها.

أما الجزء الثاني فهو يأتي في الصحف الأولى، أي في شريعة التوحيد، التي أوحاها الله لأنبيائه لدعوة البشر "آدم وبنيه" إلي عبادة الله الواحد الأحد، وأثرها في أم الدنيا أي مصر أو الأرض (كما ترجم إسمها القرآن الكريم وذكره خمس مرات صراحة، وأن أرضها مباركة، وأن شعبها مبارك، وأن من دخلها كان آمناً :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾

(يوسف : ٩٩)

هذه الدعوة التي حلت بوادي نهر النيل العظيم لأول مرة مع نبي الله "شيث" ابن آدم (عن التوراة) ثم مع حفيد حفيد آدم "إدريس" الصديق (عن القرآن). ثم مع إثنين من بني نوح الثلاثة، وهما "حام" أولاً ثم "سام" ثانياً (عن القرآن) . وكان ذلك في عصور ما قبل التاريخ (أو الأسرات بمصر القديمة) أي في عصور الأساطير .

في هذا الزمن اعتزت مصر عصور من التألق والأزدهار والقوة، وذلك بفضل تعاون أبنائها الوطنيين وترابطهم وسمو أخلاقهم، بالإضافة إلي تأثير الهجرات الآسيوية المتعاقبة من بني نوح، أي الحاميين ثم الساميين .

بعد ذلك سجل تاريخ مصر القديم ما جاء بخصوص هذه الشريعة علي لسان أنبياء الله ورسله، قبل نزول الكتب السماوية. فأرسل الله الدعوة مع

"إبراهيم" الخليل و"لوط" (ابن هاران أخو إبراهيم) عندما زارا مصر في عهد الأسرة الثانية عشر (حوالي عام ١٨٧١ ق.م.) بالإمبراطورية المصرية الأولى (عام ٢١٤٣ - ١٧٧٨ ق.م.). ثم مع "يوسف" الصديق (ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) حوالي عام ١٧٢٥ ق.م.، أثناء حكم الهكسوس لمصر (حوالي عام ١٧٣٠ - ١٥٦٧ ق.م.) وبعد سقوط الإمبراطورية الأولى، حيث كانت مصر في قاع مظلم من الإضمحلال والضعف وفساد الذمم. وأخيرا وبعد التغلب والإنصار علي هذه الكبوة، وبعد طرد الهكسوس من مصر بدأت الدولة الفرعونية العظيمة التي عُرفت بالإمبراطورية المصرية الثانية (حوالي عام ١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق.م.). وفي منتصف هذه الإمبراطورية جاء "إخناتون" (ملك مصر أمنتحتب الرابع) وهو الإسم اللامع بين المفكرين والفلاسفة، لأنه يعتبر الداعية الأول، الذي ذكره التاريخ المكتوب، إلي وحدانية الإله. جاء معلنا ثورته الدينية في قوم ترسخت فيهم عقيدة تعدد الآلهة (حوالي عام ١٣٧٠ ق.م.). وكانت "ماعت" وتعني الحقيقة أو العدالة هي أساس هذا الدين الجديد. حدث كل هذا قبل نزول الكتب السماوية، والتي كان أولها "التوراة" علي "موسي" بمصر في حوالي عام ١٢٦٣ ق.م.، ثم "الزبور" علي نبي الله "داود"، ثم نزل "الإنجيل" علي "المسيح عيسي ابن مريم"، وأخيرا "القرآن" الكريم علي "محمد".

يلاحظ أن الله، سبحانه وتعالى، الرحيم الصبور، كان يُرسل النبي أو الرسول لبني الإنسان علي فترات متباعدة، وبعد أن يكونوا قد نسوا تعاليمه ونصائحه، بل وبعد ارتداد معظمهم وإشراكهم به. وذلك لكي يذكرهم بشريعة الحق والعدل، والصدق، والرحمة، والتسامح، وبالإيمان به وبفعل الخير والعمل الصالح قبل الموت. ثم البعث بعد الموت للحساب، أي جني الثواب أو العقاب، تمهيدا للحياة الآخرة :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝ ﴾ (القصص : ٥٩)

اللهم يا مُنَزِّلَ الفرقان، ألهمني الصواب وأعصمني من الخطأ، وأنر بصيرتي، وسدد خطاي علي الصراط المستقيم. يامن له وحده الفضل كله، ومنه وبه الإستعانة والتوفيق .

أ. د. عبد المحسن العبادي

دكتوراه في الكيمياء العضوية العلاجية

كلية الصيدلة - جامعة لندن - بريطانيا